

كلمة المطران جورج بو جوده رئيس أساقفة أبرشية طرابلس المارونية

بمناسبة تخريج طلاب معهد الدروس الدينية في القبيات

أيها الأحباء،

إسمحوا لي أولاً أن أوجّه كلمة شكر وتقدير إلى القيمين على المعهد العالي للعلوم الدينية في جامعة القديس يوسف على المبادرة التي إتخذوها بتكريس سنتين كاملتين لإعطاء الدروس اللاهوتية لعدد من أبناء هذه المنطقة العزيزة، تأكيداً منهم على أهمية المساهمة في تثقيف المؤمنين وتعمقهم في إيمانهم وتجاوباً مع دعوة السعيد الذكر الطوباوي البابا يوحنا بولس الثاني الذي دعا إلى ضرورة التبشير الجديد لعالمنا ومجتمعنا المعاصر. ومع قداسة الحبر الأعظم الحالي البابا بندكتوس السادس عشر الذي تبنى هذه الدعوة وأعطاه صيغتها القانونية وأمن إستمراريتها من خلال المجمع الحبري الجديد الذي أسسه ودعا المجمع الحبري للتبشير الجديد.

نظرة سريعة إلى واقعنا وعالمنا، أيها الأحباء، تجعلنا نلاحظ أنّ الكثيرين من أبناء الكنيسة اليوم أصبح إنتماؤهم إليها مجرد إنتماء إجتماعي وعددي، وفي الكثير من المرّات إنتماء طائفيّاً وسياسياً. إذ إنّه بإمكاننا تسميتهم مسيحيّ التذكرة أو مسيحيّ المناسبات الإجتماعية، بينما تبقى ثقافتهم الدينية سطحية للغاية كي لا نقول معدمة.

والأخطر من ذلك هو أنّ الكثيرين من أبناء البلدان التي كانت تُعتبر نقطة النّقل في المسيحية أصبحت اليوم معلّنة إلى درجة مفرطة، تسنّ فيها القوانين والشرائع دون التقيد بأية مبادئ أخلاقية ولا بأية قيم إنسانية والكثيرون منهم يعتبرون الإنتماء الديني أمراً فردياً وشخصياً ويرفضون اعتباره إنتماءً

إجتماعياً وكنسياً، مشوهين بذلك جوهر الإيمان المسيحي الذي يعتبر المؤمنين أعضاء في جسد واحد متكامل الأعضاء ولا حياة لأي عضو من أعضائه إذا لم يكن مرتبطاً عضوياً بسائر الأعضاء.

الكنيسة تحاول معالجة هذا الواقع من خلال تأمينها الثقافة اللازمة لأولادها كي يتعرفوا إلى أهم حقائق إيمانهم ويتحاشوا الوقوع في الأخطار والمغالطات التي يطرحها البعض، وهكذا فإنها منذ العصور الأولى قد وضعت قانوناً للإيمان مثلاً يوم أُطلق أحد كهنة الإسكندرية، أريوس، نظرية القائلة بأن يسوع المسيح ليس إلهاً بكل المعنى الصحيح للكلمة، بل إنّ الله الأب تبنّاه وجعله مرتبة بين مرتبتين. ولهذا جاء في قانون الإيمان النيقاوي، رداً على هذه الهرطقة، أنّ يسوع هو في الحقيقة إله من إله نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق.

وهكذا توالى التحديدات العقائدية عبر الأجيال وعبر المجامع المسكونية وعبر الأبحاث والدراسات المعمّقة التي أجراها عدد من اللاهوتيين، حتى وصلنا أخيراً إلى ما سمّي التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الذي يحتوي على كل ما تعلمه الكنيسة من حقائق إيمانية.

وإنّ الدروس التي تعطى في المعاهد والكليات اللاهوتية والجامعات الكاثوليكية تهدف إلى تثقيف أبناء الكنيسة ومساعدتهم على فهم إيمانهم بصورة صحيحة. لكن المهم في الأمر، وهو ما يجدر بنا أن نشدّد عليه هو أنّ كل هذه التعاليم لا تأخذ بعدها ومعناها الصحيح إلا إذا استندت على حقيقة أساسية وهي أنّ الإيمان المسيحي ليس مبنياً على نظريات فكرية وفلسفية مجردة، ولا هو إيديولوجية بالمعنى التقليدي للكلمة، ولا هو شرائع وقوانين ينفذها المؤمن بحرفيتها فيستحقّ عليها المكافأة والثواب... الإيمان المسيحي مبني على علاقة شخصية بيسوع المسيح: علاقة معرفة ومحبة لأنّه هو أساس إيماننا. فلا يكفي أن نعرف الكثير عنه، بل علينا أن نصل إلى معرفته كما هو يعرفنا، على ما يقول في إنجيل يوحنا: "أنا الراعي

الصالح، أعرف خرافي وخرافي تعرفني، والراعي الصالح يدعو خرافه كل واحد منها بإسمه ويخرجها، والخراف إلى صوته تصغي " (يوحنا 10).

هذه المعرفة نستخلصها من حادثة قيصرية فيليبس عندما طرح يسوع على تلاميذه سؤالاً مزدوجاً فقال: ماذا تقول الناس عن ابن الإنسان، من هو بالنسبة إليهم. فجاءه جواب المعرفة الخارجية، العلميّة إن استطعنا القول، إنهم يقولون إنك إيليا أم إرميا أم أحد الأنبياء... إنه جواب ليس فيه أي التزام... بل هو نقل معلومات.

أمّا القسم الثاني من السؤال، فهو الذي يلزمهم باتخاذ موقف واضح وصريح: من أنا بالنسبة إليكم؟ وهنا جاءه الجواب الملتزم من بطرس باسم سائر الرسل فقال أنت المسيح ابن الله الحيّ. هذا هو الموقف الإيماني والموقف الملتزم. وهذا ما يجب أن يكون جواب كل مسيحي.

إنكم، أيها الأحياء، قد تابعتم الدروس التي أعطيت لكم هذه السنة، وحصلتم على معلومات كثيرة، وهذا أمر مهم للغاية. لكنّ المطلوب منكم هو أن لا تتوقفوا عند هذه المعلومات كي لا تبقى معلومات خارجية. بل عليكم الاستناد عليها والانطلاق منها للتعرف إلى يسوع، كي تصبح معرفتكم به معرفة شخصية، فلا تكتفوا بأن تعرفوا الكثير عنه، بل تصلوا إلى معرفته وإقامة علاقة شخصية معه.

إلى مثل هذه المعرفة يدعوكم قداسة البابا بندكتوس السادس عشر عندما يتكلم في تعاليمه التي يعطيها كل يوم أربعماء في المقابلة العامة التي يجريها في الفاتيكان: يقول لا يكفي أن نتحدّث عن يسوع، بل علينا التحدّث إليه.

هذه الدروس يجب أن تكون حافزاً لكم كي تتابعوا التعمق في ثقافتكم الدينيّة فتنرسخوا في إيمانكم وتتحولوا تدريجياً إلى مساهمين في البشارة الجديدة التي تدعونا إليها الكنيسة، فيصبح إيمانكم أقوى، على ما يقول يوحنا بولس الثاني في رسالته العامة "رسالة الفادي" عندما يدعو الناس إلى فتح قلوبهم للمسيح، ويقول للمسيحيين: "اشركوا غيركم في إيمانكم، فإنّ الايمان يتقوى عندما نعطيه".